

## الوحدة 1 - مقابلة مع سونيا شاه

مرحباً. أهلاً بكم في الجولة الأولى من مقاطع الفيديو في الوحدة الأولى من دورة الصحافة في زمن الجائحة: تغطية فيروس كورونا المستجد كوفيد 19 اليوم وفي المستقبل. أنا هنا مع الصحافية العالمية، والمتحدثة عبر منصة "تيد" والكاتبة سونيا شاه.

من بين كتبها جائحة الحمى (The Fever Pandemic) و أحدث كتبها، الهجرة الكبرى القادمة (The Next Great Migration)، الذي يصدر في حزيران/يونيو. سونيا، شكراً للانضمام إلينا. شكراً لاستضافتي. إذاً، أنت واحدة من بين عدد قليل جداً من الصحفيين الذين نشروا دراسة بطول كتاب حول إمكانية نشوء جائحة. أتساءل ما هو شعورك اليوم بعد أن حاولت إرسال هذا التحذير أن تزي الجائحة تتكشف حولك الآن.

أعتقد أنه لا ينبغي أن أشعر بأنه أمر مخيف ومفاجئ، لكنني أشعر كذلك. أعتقد أنني أشعر تماماً كما يشعر سائر الناس. إنها تجربة سريالية، لكن في الوقت نفسه، تحدث أشياء تدلنا على أن التاريخ يعيد نفسه. لذلك تعود بي الذاكرة دوماً إلى حالات تفشٍ أخرى. وإنني لا أشعر بالمفاجأة كثيراً، لكن الوضع لا يزال سريالياً ومخيفاً للغاية.

إذا نظرتم إلى أحداث الأشهر الأربعة الماضية، ترون أننا خارج الصين، فقط خارج الصين، سنكون قد تجاوزنا حدّ الأشهر الأربعة. ما الذي برأيك يؤكد على التقارير السابقة التي أعدتها؟ وهل من أمر فاجأك؟

أعني أن الكثير من الأمور مألوفة. لذا تُعتبر الطريقة التي انتشر بها المرض بالطبع مألوفة جداً. فقد انتشر خطر الإصابة بالمرض من خلال أنماط التجارة والسفر بطرق كنا قللنا من شأنها لفترة طويلة. ورأينا الناس وصنّاع السياسات يغلّقون الحدود بعد حدوث الانتشار. وهذا يرمز إلى كيفية انتشار هذه الجائحة في جزء كبير منها.

إضافة إلى اللوم الذي نصبه من خلال توجيه أصابع الاتهام الواحد إلى الآخر، سواء كانوا الصينيين، أو العلماء السيئيين، أو هذه المؤامرة أو تلك، أو المهاجرين أو هؤلاء الناس المتنقلين.

هذا كلّه مألوف جداً. ونوع البحث عن العلاج الطبي الحيوي الذي سينقذنا من ذلك كلّه. هذا أيضاً مألوف جداً. لكن ما فاجأني حقاً في طريقة تكشف هذه الجائحة هو الفشل السياسي الهائل في الولايات المتحدة. أعتقد أن هذا لم يكن متوقعاً. أعتقد أن استجابة الولايات المتحدة قد أربكتنا جميعاً. وكذلك تلك اللحظة السياسية مع هذا العدد الكبير من القادة اليمينيين الشعبويين في أنحاء العالم كافة، وكيف يعقد ذلك الاستجابات للجائحة. وهذا ما يُعتبر مفاجئاً جداً وغير متوقع.

عندما أعود بالزمن إلى الوراء، أدرك أنني شخصياً كتبت عن إمكانية تفشي جائحة لفترة طويلة من حياتي المهنية. ولم يخطر لي في الأنواع المختلفة من النماذج والإمكانيات التي فكرت فيها حقيقة أن حكومة الولايات المتحدة ستكون غائبة بشكل أساسي وأن مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها ستكون غائبة أو غير مرئية.

إنّه لمدّهش، مدّهش، مدّهش، كيف أنّ تلك المؤسسات في هياكل الحوكمة انهارت تماماً وتحولت إلى شيء مختلف كلياً في شتّى حملات الترويج المُعرضة أو استخدام السياسات كسلاح سياسي. حدث ذلك بسرعة كبيرة.

أذكر أنّك في كتابك حول الجائحة كتبت حول كيفية اتخاذ القادة السياسيين القرارات حول الحجر، وكيف يختارون بين التكاليف القابلة للتوقع والمنافع غير القابلة للتوقع، وهي عبارة رائعة.

لذلك أنا أتساءل من خلال تلك العدسة كيف تترين الخيارات المختلفة للغاية التي اتُخذت للاستجابة للجائحة حول العالم، لا سيما الإغلاق التام والمباعدة الاجتماعية؟ إلى أي درجة يجب أن يُسمح بالتنقل الحرّ؟ كنا نتحدث للتوّ عن استجابة الولايات المتحدة، لكن من الصين إلى إيطاليا وإلى السويد وإلى جنوب أمريكا، تطول قائمة الطرائق المختلفة التي استجابت بها الحكومات.

أعني، أعتقد أنّ ما حدث هو، في الواقع ليس لدي فكرة عما حدث بعد. أعتقد أننا غارقون نوعاً ما في اللحظة الحالية وما زلنا نحاول فهم ما الذي يحرك الكثير من الاستجابات السياساتية.

لكنني أشعر أن ما حدث هو أنّ الولايات المتحدة لم تقدّم أي طريقة بديلة للتعامل مع هذه الجائحة، فيما احتلّ النموذج الصيني مركز الاهتمام. وهكذا رأينا الكثير من البلدان تستجيب نوعاً ما رداً على النموذج الصيني، مثلاً هل نفرض الإغلاق التام أم لا، بدلاً من طرح سؤال ما هو الوضع الديموغرافي لدينا؟ ما هي البنية العمرية لسكاننا؟ كم عدد الأسرة فعلياً في وحدات العناية

المركزة لدينا؟ كم جهاز تنفس لدينا؟ لا بد من استجابة متميزة، لكن ما نراه برأيي هو الكثير من الاستجابة السياساتية. فيما تقرّر البلدان ما ستفعل، ترتفع تكاليف التقاعس عن العمل كثيراً. فقد رأينا جميعاً ما حدث في إيطاليا، ورأينا ما حدث في هذا المكان وذاك، ما بدا سيئاً جداً بالنسبة إلى سكاننا. لذا علينا أن نفعل شيئاً ما.

وأعتقد أنّ ردود الفعل كثيرة، نوع من رد الفعل الانعكاسي، ومن العمل الناشط، وردود الفعل، لأنّ أكلاف الإغلاق التام بالطبع هائلة، لكنّها أيضاً متباينة. فوقعها يكون أثقل على الفقراء والمهمشين، والشركات الصغيرة. كما تعلمين، نرى أنّ الكثير من الشركات الكبيرة في حال جيدة. حتّى أنّ بعضها ينمو في الواقع. لذلك أعتقد أنّ تلك كلّها تؤدّي دوراً. الأمر ليس بهذه البساطة، ليست مسألة تكاليف اقتصادية مقدّماً لمنفعة الصحة العامة مستقبلاً. ناهيك عن السياسة الجارية أيضاً.

فلننتقل لدقيقة من السياسة إلى العلم. في كتابك "الجائحة" (بانديميك)، تحدّثت أيضاً عن صعوبة إصلاح أنظمة المراقبة. الفكرة هي أنّنا نحاول اكتشاف العوامل المُمرضة الوبائية الناشئة من العوالم الحيوانية، مثل هذا الفيروس. ومثل العامل المُمرض الأصلي لميرس وسارس وإيبولا. هل لديك أي أفكار حول ما إذا كان ممكناً اكتشاف هذا الفيروس أثناء امتداده إلى البشر وما الذي يجب فعله لكشف الامتداد القادم، الذي نعلم أنّه قادم؟ بكلّ بساطة لا نعرف متى.

أعني أنّنا نعلم أنّ العلماء مثلاً في تحالف الصحة البيئية (إيكو هيلث أالينس) في أجزاء من الصين كانوا يدرسون الأجسام المضادة لفيروس كورونا لدى السكان المحليين هناك. ووجدوا لدى حوالي 3 بالمئة أو في بعض الأماكن في الصين أجساماً مضادة لفيروسات الكورونا المختلفة التي كانوا يتعقبونها. هل كانوا سيجدونها لو كانوا لا يزالون مستمرين بهذا العمل، ولو كان هذا العمل لا يزال يحظى بالتمويل؟ أعني، من المستحيل أن نعرف. لكن يمكن أن تحدث هذه الأمور بالصدفة. مع أنّها بالطبع مدفوعة بالقوى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الأكبر. وتلك كانت تتقدّم نوعاً ما، باستثناء زخم متسارع مع مرور الوقت. لذا لا يمكن الجزم أنّه كان بإمكاننا التقاطها. ربما كنّا سنفعل. وربما ما كنّا سنفعل. لكن الحقيقة هي أنّه كان لدينا برنامج هناك وكان يبحث عن امتداد العوامل المُمرضة تلك خاصّة من الخفافيش إلى الناس. كان هذا العمل جارياً. لكن سُحب التمويل وانهار البرنامج. لذلك، يمكننا فقط أن نخمّن ما كان سيحصل لو أكملوا هذا العمل، وإذا كان ينبغي بنا في الواقع تعزيز تلك القدرة البحثية.

صحيح. كنّا نتحدّث قبل أن نبدأ رسمياً بالتسجيل عن عدد الناس المشاركين في هذه الدّورة في هذا اليوم الذي نتحدّث فيه. أي حوالي 5000 شخص.

وهم يأتون بكلّ معنى الكلمة من أنحاء العالم كافّة، مع فهم أنّ هذا الطيف واسع النطاق للغاية.

هل لديك أي أفكار للصحافيين المشاركين في هذه الدّورة حول الزوايا أو القصص التي ينبغي بهم متابعتها ضمن سياقهم المحلي لتسليط الضوء أقوى ما يمكن على ظروف هذا الوباء؟

أنا أعتقد بشكل عام أنّنا بحاجة للبحث عن القصص المقموعة نوعاً ما. أي قصص الناس الذين يعانون العبء الأكبر، الذين لم يعودوا محطّ الأنظار. لذا علينا أن ننظر إلى الأشخاص المحتجزين، اللاجئيين، ملتسمي اللجوء، المشردّين، السكان المهمشين كلّهم الذين يصعب الوصول إليهم في الأوقات العادية. وبات ذلك أصعب الآن.

ولكن الأمر الأساسي الآخر هو برأيي توسيع الخبرة التي نعتمد عليها في الكثير من القصص. أعتقد أنّه من السهل حقاً مع الفيروسات الكثيرة التوجّه إلى علماء فيروسات، وفي حالات الوباء التوجّه إلى علماء الأوبئة. وفي الأزمات الاقتصادية، التوجّه إلى علماء الاقتصاد. لكن يمكننا أيضاً الاعتماد على علماء الأنثروبولوجيا الطبية ومحامي الصحة العالمية وعلماء الأخلاقيات الأحيائية. إنّ مروحة الأشخاص الآخرين الذين يتمتّعون بالخبرة في هذا المجال واسعة جداً. ويمكن أيضاً أن تكون مساهمتهم مهمّة جداً في تكوين تفكير الاستراتيجي حول ما يجري. لذلك أعتقد أنّنا نحتاج إلى التوسّع، لأننا الآن في هذه اللحظة التي يعدّ فيها الكثير من الصحافيين فجأة تقارير عن الأوبئة فيما لم يفعلوا ذلك من قبل. لذلك أعتقد أنّنا بحاجة لتوسيع نطاق المصادر التي نستخدم لتسليط الضوء فعلياً على ما يجري.

أعتقد أنّها نصيحة عظيمة، لا سيّما أنّنا لا نريد أن نفتبس الأشخاص أنفسهم الذين يقتبسهم الآخرون. صحيح. من بين القصص الأولى والمفضّلة لديّ التي عملت عليها في الشهر الماضي التحدّث إلى عدد من المؤرّخين الطبيين حول الدروس المستفادة من الأوبئة السابقة، لا سيّما لجهة حملات التلقيح وكيف يمكن ذلك أن يُنير ما نفعل إذا حصلنا على لقاح هنا.

لذا السؤال الأخير، من كاتبة إلى أخرى، أودّ أن أسمع قليلاً عن كتابك القادم، خاصة إذا أمكنك ربط كتابك القادم بما يجري حالياً.

حسناً، نعم، كتبت "الحمى" (فيفير)، عن الملاريا، وقد صدر في العام 2010، ثم كتبت "الجائحة" (بانديميك)، وهو عن الأمراض المعدية الناشئة وقد صدر في العام 2016. ومن الأمور التي توصلت إليها من خلال هذا العمل كله هو أنه من الصّاعق كيف تحوّل التاريخ البشريّ إلى هذا الحدّ بفعل العوامل المُمرضة. لقد أوبنا العوامل المُمرضة مع مرور الزّمن بطرائق عدّة، سواء كان ذلك من خلال الطّفرات الجينيّة التي نحملها معنا وتجعلنا عُرضةً للأمراض الحديثة اليوم، أو من خلال تغيير أنماط الاستيطان لدينا. وتطول القائمة حول كيفية تغيير العوامل المُمرضة فعلياً مجتمعا وسلوكياتنا. لكن الملفت للنظر حقاً هو أنّ الجزء من السلوك البشريّ الذي تستغلّه العوامل المُمرضة أكثر من غيره هو حركتنا. لكن بالرّغم من مرور الوقت، إلّا أنّ ما رأيناه هو أنّنا لم نغيّر حركتنا. بل تحرّكنا أكثر وأسرع وأبعد. لذا أردت أن أنظر في سبب حدوث ذلك. ما هو دور تنقّل البشر في الطبيعة، في التاريخ؟ خاصّة بالنظر إلى التكلفة الكبيرة التي نتكبّد ليس فقط في الأزمنة الحديثة، ليس فقط مع هذه الجائحة أو سابقتها، لكن على مدى تاريخنا كله. وما أردت أن أبحث فيه هو كيف أنّ التغيّر المناخيّ يغيّر أنماط الهجرة، ليس فقط للناس، لكن أيضاً للأنواع البرية. وما هو الدور الذي يؤديه التنقّل في قابليتنا للتكيف الأحيائيّ.

إنّني أتطلّع فعلاً لقراءة ذلك. هذا هو الكتاب، الهجرة الكبرى القادمة، الذي سيصدر في حزيران/يونيو. وسونيا هي مؤلفة لعدّة كتب، من بينها "الجائحة" (بانديميك) الذي تحدّثنا عنه و"الحمى" (ذو فيفير).

شكراً جزيلاً لانضمامك إلينا في هذه الدّورة. إنّنا لممتّون لذلك.

شكراً جزيلاً.